

(١٤)

## الروح

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي  
وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

(سورة الإسراء ٨٥)

حديث الروح حديث يلعب بالكثير من عقول الناس، فمنهم مؤمن بالروح، ومنهم من هو ناكِر لها، ومنهم من يقول أن الموت إنعدام للشخص ونهاية للحياة، فلا ألم ولا عقاب ولا نعيم ولا عذاب ولكنها الحياة قد انتهت بخروج الروح وفناء الجسد، ومنه من اتخذها موضوعا للبحث والدراسة، ومنهم من ذهب إلى ما هو أكثر من ذلك وأبعد فقالوا إنهم رأوها رأى للعين ولمسوها باليد، ومنهم من إدعى أنه أخذ لها صورة فوتوغرافية عرضها على الناس ونشرها في الكتب، وهكذا كان الحديث ينتقل من جهة إلى أخرى والجدال يشتد من ناحية والحوار يقوى والأصوات ترتفع، وكل يدلى بما سمع وما قرأ ومنهم من يدعى أنه رأى أو لمس وطال الحديث وطال الجدال إلى أن سألتني صديقي وهو يحاورني عما قال القرآن، وما قال الرسول في الروح: «قلت إن هذا السؤال بعينه قد سألته قريش للنبي صلى الله عليه وسلم فنزل عليه الوحي من ربه قائلا:

وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾

ولكن قريشا لا تجد في ذلك القول ما يشفى صدورهم ويروى غلتها فيتهموا الرسول بالعجز فيقول لهم عتبة: (والله ما هو بعاجز، وما كذبكم في هذا شيئا إن الروح لا يمكن أن تكون من أمر بشر لقد أصدقكم، وما كان عليه ولو أنه نبي كاذب أن يقول لكم في أمرها قولاً أو يصف لكم وصفا يسكتكم).

وصدق رسول الله عليه الصلاة والسلام فالروح من أمر الله، ولا يمكن أن تكون من أمر بشر فسبحانه وتعالى القائل:

فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ (الحجر ٢٩)

فما الموت إلا تغير في الحال فقط وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد إما معذبة وإما منعمة، ومفارقة الروح للجسد هي انقطاعها عن التصرف فيه وفقدانها السيطرة عليه وخروجه عن طاعتها، فإن الأعضاء كلها آلات للروح ومعالم لها تستعملها وتستخدمها ما دامت هي المسيطرة على الجسد، وما دامت هي الحاكمة الآمرة فإذا انعدمت الصلة بين الجسد والروح وحصلت المفارقة انتقل الجسم من حال الى حال وهكذا تنتهى حياة الإنسان، ويموت وتذهب الروح إلى عالم آخر حيث الثواب والعقاب.

أما حقيقة الموت وكنهه فلا نستطيع أن نكشف عنها الغطاء، وكيف نستطيع ونحن لما نفهم بعد حقيقة الحياة وسرها، ومن لا يفهم حقيقة الحياة لا يستطيع أن يعرف حقيقة الموت، فالإنسان لا يزال عاجزا أمام ظاهرة النوم أو ما يسمونه الموتة الصغرى، تلك الظاهرة التي لم يعرف العلم بعد كنهها وأسبابها كلها، ولو أننا نعرف أن النوم ناشئ من تغيرات كيميائية تحدث من الحركة في الأنسجة، وتلك التغيرات التي تحدث في الأنسجة وقت الحركة هي سبب الإستراحة والنوم الذى به تستعيد سيرتها الأولى كما كانت وهكذا تستمر الحياة نهارا والموت الوقتى ليلا فالنوم ضرورى للحياة، كما أن الحياة والحركة ضروريان للنوم، فسبحان من لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض.

فإذا كان التفكير في النوم وسره بمعجز فالتفكير في الأحلام وسرها معجز، كذلك فالإنسان ينام ويحلم ولا يعرف أنه في حلم بل إنه في حياة حقيقية ملموسة فهو يتألم في حلمه، ويفرح ويتحرك وينتقل بل ربما ركب الطائرة وساقها بنفسه، وهو الذي لم يركبها طيلة حياته، وغير ذلك من الأفعال والمؤثرات والإنفعالات والحركات، وكثيرا ما يوقظه الألم والفرح أو يذهب بنومه الفرح والألم وعندئذ يدرك الحقيقة السافرة ويعلم أنه في حلم وأن لا حقيقة لذلك الألم ولا لذلك الفرح، وأنه في فراشه لم يتحرك، ولم يتغير وأنه قد مضى عليه من الوقت أقل مما فات وتصور فسبحانه وتعالى القائل:

أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ (البقرة ٢٥٩)

ومثل هذا يحدث كل يوم فربما يستغرق النوم ساعة من الزمان لا أكثر، ولا أقل ويطول الحلم وتستغرق حوادثه من الوقت ما لا يتسع له أسبوع أو أكثر فالإنسان في الحلم يخضع لنواميس غير تلك النواميس فالوقت فيه غير ذلك الوقت والقدرة غير تلك القدرة، حرية مطلقة في الحركة والتصور حرية مطلقة في الفكر حرية مطلقة في كل شيء فهو لا يتقيد بذلك الجسد الثقيل، وقد غلبه النوم ولا بذلك الفكر الإنساني المحدود ولا بتلك الساعة التي يحدها عدد من الدقائق معلوم ومعروف، وهنا تدرك السر والقدرة في قوله تعالى:

(الحج ٤٧)

وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾

فمن يدرى فلعلنا فى حياتنا هذه فى حلم طويل سنفيق منه إذا ما متنا عندئذ تدرك صدق من قال «الناس نيام فإذا ما ماتوا انتبهوا» .

والنبي صلى الله عليه وسلم لم يزد عن أن الروح من أمر الله فحقيقة الروح فى ذاتها لا يستطيع أن يكشف عنها أى مخلوق، وأن كل ما يعيننا هو حال الروح بعد الموت وعدم انعدامها بعد ذلك، وما الموت إلا انطلاقاً من عقالها فتسبح حرة طليقة بعيدة عن ذلك الجسد البالى كما تسبح فى حالة الحلم لا يحد حركتها مكان، ولا يقف أمامه حاجز ولا تخضع لزمان ولا لسلطة مخلوق مهما كان. وقد قال تعالى:

وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٥٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۚ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٦٠﴾ \* يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ ۚ وَاللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦١﴾

(آل عمران ١٦٩ - ١٧١)

وقوله تعالى:

قُلْ إِنْ أَلْمُوتَ أَلَّذِي تَقْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

(الجمعة ٨)

ولما قتل صناديد قريش يوم بدر ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (يا أهل القلبيب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتُمونى وصدقنى الناس، وأخرجتمونى وأوانى الناس، وقاتلتمونى ونصرنى الناس، هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً، فإنى قد وجدت ما وعدنى ربي حقاً).

فقيل يا رسول الله أناديهم وهم أموات فقال صلوات الله عليه (أو الذى نفسى بيده إنهم لأسمع لهذا الكلام منكم إلا أنهم لا يقدرون على الجواب).

وقال صلى الله عليه وسلم: (لو تعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم

منها سمينا) وقالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس ورد عليه حتى يقوم). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما الميت فى قبره إلا كالغريق المتغوث ينتظر دعوته تلحقه من أبيه أو أخيه أو صديق له فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا، وما فيها وأن هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار).

وقال رسول الله صلوات الله عليه (إن مثل المؤمن فى الدنيا كمثلى الجنين فى بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى إذا رأى الضوء ووضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه).

هذا قليل من كثير مما أخبر به الرسول عن الحياة بعد الموت وسأذكر بعض ما ذكره الخلف الصالح عن ذلك.

قال رجل من آل عاصم الجعدى (رأيت عاصما فى منامى بعد موته يستنين فقلت: أليس قد مت، قال بلى. فقلت: أين أنت، فقال أنا والله فى روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابى نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى أبى بكر بن عبد الله المازنى فتتلاقى أخباركم قلت أجسامكم أم أرواحكم قال هيهات بليت الأجسام إنما تتلاقى الأرواح قال قلت: هل تعلمون بزيارتنا إياكم قال نعم نعم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس قلت وكيف ذاك دون الأيام كلها قال نفضل يوم الجمعة وعظمتته.

وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف إلى الجبانة، فيشهد الصلاة على الجنائز فإذا أمسى وقف على باب المقابر فقال: «آنس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن سيئاتكم وقبل الله حسناتك». لا يزيد على هذه الكلمات. فأمسيت ذات ليلة فانصرفت إلى أهلى، ولم آت المقابر فأدعو كما كنت أدعو فبينما أنا نائم إذ بخلق كثير قد جاءونى فقلت: ما أنتم وما حاجتكم قالوا نحن أهل المقابر قلت ما جاء بكم قالوا أنك عودتنا منك هديه عند انصرافك إلى أهلِكَ قلت: وما هى:

قالوا: الدعوات التي كنت تدعو لنا بها قلت فإنني أعود بذلك فما تركتها بعد ذلك.

هذا قليل من كثير مما يدل على أن الموت تغير في الحال فقط وأن الروح حقيقة لا مرء فيها وأنها من أمر الله، وما أوتينا من العلم إلا قليلا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّتُؤْذِقُوا مِمَّا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ  
لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿١٦٦﴾

(سورة النحل)